Issue 6058 Thursday 7/6/2018
الزمان – السنة الحادية والعشرون العدد 6058 الخميس 22 من رمضان 1439 هـ 7 من حزيران (يونيو) 2018 م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/201 . UK

المندائية .. الأزل العراقي المُدهش 2 - 2

صابئة حران يعتمدون الغنوص مرجعاً للتواصل الرباني

نعيم عبد مهلهل
ألمانيا

بين صابئة حران وصابئة المعدان ، وأقصد الصابئة الذين عاشوا قرب أهل الأهوار (صابئة البطائح) وجابلوهم على محبة التعايش والاندماج دون أن يمس أحد في مشاعر الآخر ، فقط فضل المندائيون أنهم اقتربوا من ناصية العلم واكتساب المعرفة أكثر من أولئك الذين فضلوا الطبيعة البكر والارتماء بأحضان الطبيعة والرضوخ لقدرها في كل ما تمنحه ، بينهم فاصلة من الزمان ليست بعيدة ، فحتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وما تلاه كان الرحالة والمكتشفون ومنقبو الآثار يتحدثون عن أناس نال من حياتهم الكثير من الغموض والجدل ، فهم لم يقصدوا عرب الأهوار فقط ، حيث تميزت حياتهم وطبيعة عيشهم عن بقية أطياف الشعب العراقي ، بل من جاوروهم من طائفة يقول أبناؤها انهم ما تبقى من مجد السلالات الغابرة وأن لديهم ما يثبت ذلك ، عندما عرض رجال الدين والكهنة والشيوخ لأولئك الرحالة والدارسين الأجانب كتبهم وقراطيسهم التي حفظت منذ القدم على ألواح الرصاص ، فكان أن أصاب الذهول البعض ، ونشر أبحاثاً ودراسات عن المندائيين الذين كان يعرف عنهم في أوربا من خلال النزر اليسير الذي ذكر في تواريخ الديانات القديمة وكذلك ما كان مدونا عنهم في التراث العربي ـ الإسلامي ، وإزاء هذا الكشف حاولت بعض الجامعات الأوربية فتح أقسام خاصة لدراسة هذا المعتقد ، فالليدي دروا الباحثة البريطانية التي تعبر رائدة التعريف والتعمق والبحث المقارن في عالم المندائيات كشفت من خلال كتابها عن الصابئة المندائيين ومعتقداتهم وفي بعض محاضراتها في الجامعات البريطانية والجمعيات العلمية أن الجنوب العراقي هو حاضنة أزلية لأولئك الذين تعتقد انهم يتبعون أقدم الديانات الحية وانهم على الرغم من قلتهم ومحاولة الحفاظ على وجودهم وتراثهم بشيء من العزلة والصرامة والكتمان إلا انهم كانوا مشاركين فاعلين في ديمومة المجتمعات المحيطة بعضهم والسعي الى ديمومتها وتطورها عندما تحدثت عن أناس تمسكهم عصامية المعتقد وحب الحياة وإظهار الطاعة للرب الواحد وجعل الماء المكان المقدس لإقامة الطقوس ومراسيم التعميد ، وكان لديهم كما بقية الديانات مكانا للعبادة يشبه الجامع والكنيسة والكنيست في وظيفته يسمى (المندى).تفتي بنا الديانة المندائية الى عوالم الذات الواسعة التي هي مصنوعة من مشاعر الغنوص الذي يعتمد على الجهد الذهني الذي لا يحتوي أي شائبة مادية ولا يحتاج منا الى جهد عضلي للتركيز كما في اليوغا الهندية ، لأن التسامي في فضاء العقل يقودنا الى صفاء خالص والذي اعتمده أخوان الصفا في صناعة مودتهم مع الفكر والفلسفة وأقاموا عليها حجج وافتراضات ومناهج. فكان ينظر إليهم في مرجعيتهم إن ما جاهروا فيه خفاء جلستهم ومناظراتهم مأخوذ من ارث صابئة حران الذين كانوا في ديانتهم يضعون غنوص الروح وحالتها المترامية الذهن والتسبيح طريقة للاتصال بعوالم الحسية والبعيدة كما مع موجودات الطبيعة من كواكب ونجوم وأفلاك. ويفسر الدكتور رودولف في ذات الحوار في صحيفة الحياة الغنوص على أنه : ((الغنوصية لها علاقة بالمعرفة الخاصة بأصل النفس البشرية وبكيفية عودة النفس الى عالم النور.))

عالم نوراني

وربما أو يكاد يكون من الجزم أن حمل صابئة حران هذا العالم النوراني بعد أن شعروا في تعرضهم لخطر الإمبراطوريات والاختلاط ودخول المعتقدات الملحدة الى ديانتهم القديمة القائمة على الشرك وعبادة الأصنام والأبراج والحيوانات ، ليؤسسوا في جنوب بلاد الرافدين مستوطناتهم ولتبقى الى اليوم حاضنة لذات الرؤى التي اعتمدت الغنوص مرجعا لإقامة ذلك التواصل بين العبد وخالقه.أحتضن الجنوب العراقي أبناء هذه الطائفة كما تحتضن الأم وليدها البكر ، وعاشوا على الأديم العذب والمالح لمياه الرافدين دون أي شعور بالتذمر والبطر والغرور ، ولكنهم مع التطور المدني والحضاري الذي شهده العراق بعد الحكم الوطني وتطور المرافق الحياتية وتهيئ آفاق التعليم العالي للكثير من أبناء الطائفة بدأت بعض الهجرات المتفرقة من أماكن الأزل الى العاصمة حيث هاجرت بعض العوائل المندائية من العمارة والناصرية وسوق الشيوخ والكحلاء وقلعة صالح والحلفاية والبصرة الى بغداد لأسباب حكمتها الوظيفة وحصول البعض على شهادات جامعية عالية توجب عليهم الانتقال الى العاصمة والعيش فيها ،والبعض قاده تطور الحياة ورفاهيتها وتحسن المستوى المعاشي عندما كثرت الأسواق في بغداد ومنها سوق الصائغة الشهير في شارع النهر اللصيق بشارع الرشيد من جهة نهر دجلة وكان اغلب صاغته هم المندائيين.وفي الحرب العراقية الإيرانية بدأت هجرة مندائية أكبر للعوائل بسبب ظروف الحرب ونتائجها عندما كان الكثير من المندائيين يسكنون في مدن قريبة من جبهات الحرب كما في قلعة صالح التي كانت يقع فيها مقر الفيلق السادس ،والكحلاء التي كانت مقرا لفرق قتالية للفيلق الرابع ، فيما هاجر صاغة منطقة العشار محلاتهم الى بغداد بسبب وصول قذائف المدافع الإيرانية الى أماكن رزقهم بسبب اقتراب العشار من جبهة القتال في معارك شرق البصرة وبحيرة الأسماك.

فيما لم يهاجر من عوائل المندائيين في الناصرية وسوق الشيوخ إلا القليل وأكثرهم في فترة الحصار الاقتصادي على العراق بسبب الكساد وعزوف الناس عن شراء الذهب بسبب قلة الموارد المعشية وانتشار الفقر والعوز وخاصة بين موظفي الدولة الذين كانوا أهم زبائن الصاغة. وتحول سوق الصياغ في المدينة الى سوق للنجارين والحدادين والمواد الإنشائية ، بعد أن باع الصاغة محلاتهم وفضلوا بغداد سكناً ، وآخرون بدأت عندهم نوايا الهجرة الى أوربا والتي شهدت في منتصف التسعينيات موجة من اللجوء وخاصة في السويد وهولندا واستراليا ،ولديهم اليوم جاليات كبيرة في هذه المناطق تزايدت بشكل كبير بعد الغزو الاحتلال الأمريكي للعراق في 2003 عندما تعرض الكثير من أبناء الطائفة الى حملات تصفية وقتل وتهديد منظم من قبل الجماعات الإرهابية التكفيرية ، فكان أن دفع الكثير من أبناء الطائفة وبينهم رجال دين حياتهم ثمنا لبعض الفتاوى التكفيرية والمتخلفة التي تدعوهم الى مغادرة العراق أو يعلنوا إسلامهم .

حقائب السفر

ولم تفعل الدولة شيئا فعالا يحميهم وتركتهم يحملون حقائب السفر والتهجير بعد أن تركوا بيوتهم ومحلاتهم وخاصة في منطقتي البياع والعامل حيث تكثر العوائل المندائية التي سكنت بغداد ،وكان اغلبهم استقر في منطقة جرمانا في سوريا ،وكانها هجرة مضادة الى أماكن النشوء الأول للديانة حيث يقع قبر نبيهم يحيى (ع) ، ففضلوا الاحتماء به على أمل عودة الاستقرار والعودة الى وطنهم وبيوتهم ومحلاتهم.

يعيش أغلب مندائي المهجر في أوربا وينتظر المندائيون في سوريا مع قوافل طالبي اللجوء أمام مكاتب الأمم المتحدة في دمشق ، وللمندائيين في المهجر جمعيات ثقافية واجتماعية ولديهم مواقع إلكترونية ومجلات ودور نشر ، ويعقدون مؤتمرات عالمية سنوية في محاولة جمع الشتات المندائي والتعريف بقضيتهم ومنها جمعية ناشطة تتوزع مكاتبها بين مالمو ولندن ونيويورك وهي اتحاد الجمعيات المندائية في المهجر التي أصدرت كتبا ومنشورات حول الديانة المندائية وثقافتها ومن أهم هذه الكتب (الصابئة المندائيون في الفقه الإسلامي ـ تأليف الدكتور رشيد الخيون ـ بغداد 2006 و (رؤية وسياحة في المندائية النقية ـ تأليف نعيم عبد مهلهل ـ بغداد 2006) و (الصابئة المندائيون ـ حاضرهم وماضيهم ـ تأليف الليدي دراوو ـــ طبع دار المدى 2007/ دمشق) و (عصافير الشارع المندائي ـ تأليف نعيم عبد مهلهل ـ 2008 دمشق).مندائيو هذا الزمان بالرغم من حزن الشتات وعذاباته يمسكون أمل العودة الى منابع الحلم ، ويتمنى كبار مهاجريهم أن تحمل نعوشهم لتوارى الثرى في أمكنة السعادة والحلم حيث ارض الأجداد والضفاف الرافديني الذي يسقي لحظة بهجة طقس التعميد بنسائم مساء العراق. ولهذا هم يمسكون غصن الزيتون ويلوحون فيه الى أفق التمني أن يعم السلام في البلاد التي نطقت معهم هجائيتهم المندائية وصنعوا من أطيانها ألواح وجودهم ودمى طفولاتهم.بين صابئة حران وصابئة المعدان وصابئة هذا الزمان يضيء الزمن شمعدان الأساطير وتبريكات الأنبياء وأحلام القصب والماء والترميذا الذي اعتمر البياض طريقا للوصول الى فسحة البهجة في حدائق العشب والسدر والنخيل.هم باقون وسيظللون بالرغم من تعاقب الأزمنة وعاصفة العولمة ومتغيرات الآلة والاتصال ،لأن غنوصية الديانة وقوتها ستوفر لهم اتصالا سريا مع تلك السرمدية التي ظلت تنير لهم مصابيح الحياة وليبقوا خالدين مع أحلام أنبيائهم وكتبهم المقدسة.يحتفون مع معدان المكان بذلك الألق الحياتي الذي توارث من تلك الأزمنة التي لم تسقط في بئر الانقراض والنسيان بل أبقوها حية وفعالة ومبتهجة بما تؤديه من لحظة متسامية مابين الشعور والإحساس إذ يختلط المادي في الحسي فتولد نشوة الوصول وهي شيئا من الغنوص كما عند المتصوفة في قولهم : كلما اسبح في خياله يمنحني بهاءه ودهاءه وفطنته. وكذا المندائيون يفعلون ذات الشيء لحظة اكتساب طهارة الماء وسيره إللا منتهي ، فصورتهم على ضفاف دجلة الكحلاء وهم يمارسون طقوسهم يعكسون للناظر الصورة الشجاعة والمؤمنة بما زرع في قلوبهم من إصرار وأدراك ، وهكذا أحسست هناك بأن المعدان ليسوا فقط هؤلاء الذين دفعتهم طبيعة القدر الحياتي وظروف المكان ليكونوا هكذا حراس الأبد لقطعان الجواميس التي كانت في يوم ما من الحيوانات المقدسة كما في غابر الزمن السومري وعند الهنود وغيرهم من الشعوب. فيكون الامتداد البيئي والروحي بين معدان الإسلام ومعدان الصابئة هو امتداد لحياة المكان وأصالته.

انتهى

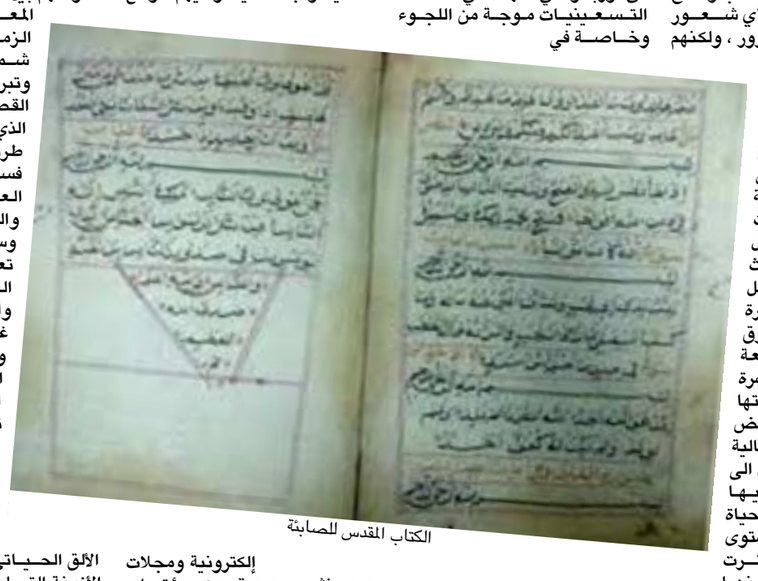

الكتاب المقدس للصابئة

صيف وصيام وخصخصة

في الوقت الذي يعيش المواطن العراقي ايام شهر رمضان المبارك بلغت الانقطاعات في التيار الكهربائي ذروتها بالتزامن مع حلول فصل الصيف الذي شهد ارتفاعا بدرجات الحرارة فاقت معدلات العام المنصرم ، وكان المواطن يامل وينتظر وهو يدفع الملايين لنظام الخصخصة ان المنظومه الكهربائية ستتحسن وينعم بصيف آمن مع توفر ساعات اضافية من التيار الكهربائي ، ومع تصاعد حدة مناشدات وشكاوى المواطنين بسبب تردي الكهرباء والتي شملت نظام الخصخصة بالتالي ماجعلت اصحاب المولدات الاهلية يضاعفون سعر الامبير الواحد ليتجاوز الثلاثين الفا للذين يستطيعون دفع الفاتورة وبعكسه فالمواطن الذي لا يستطيع فانه يفطر ويتسحر على انارة الفوانيس والشموع ويضطر ان ينام على اسطح المنازل والاماكن المكشوفة مثلما كان يفعل اباؤنا واجدادنا في زمنا مضى ، نعم اصحاب المولدات وعندما نوجه لهم اللوم والعتب بسبب رفع اسعار الامبير على اهله وذويه وجيرانه واصحاب محلته نجده محقا لسبب مهم جدا الا وهو ان حصة الوقود الكاز التي كانت تمنحها الحكومة لاصحاب المولدات في الاعوام الماضية قد حجبت العام الحالي ونحن بلد النفط ومشتقاته ما اضطر اصحاب المولدات شراء براميل الوقود من السوق السوداء وبالتالي يضاف على حمل المواطن المسكين اضافة الى قدم واستهرك مولداتهم الاهلية والتي تحتاج الى ادامة وصيانة وهي الاخرى اجورها تضاف على ظهر المواطن ، نعم هذا حالنا ونحن نعيش شهر رمضان التسامح والمغفرة وكلنا نتطلع الى ما افرزته الانتخابات التي حطت اوزارها مؤخرا وبعد اعلان النتائج وانتظار المواطن ماستعلنه الكتل والاحزاب عن موعد تشكيل الحكومة المرتقبة لكن يبدو ان الصراعات التي بدات تتصاعد بعد اعلان النتائج والتشكيك والتخوين مابين الكتل والمرشحين الفائزين والخاسرين بدات تتضاعف لترمي سلبياتها على المواطن الذي لاحول له ولاقوة، وفوق كل هذا ان مشاكل وهموم بدات ترافق ارتفاع درجات الحرارة والانقطاعات المستمرة بالتيار الكهربائي وانباء عن جفاف سيضرب العراق في الصيف الحالي ونقص حاد في خزين المياه في السدود ماأثرت على مناسيب دجلة والفرات ناهيك عن الصراعات والتهديدات والخلافات التي بدات تظهر بعد نتائج الانتخابات، ونقولها بصوت عال بالرغم نحن على يقين ان صوتنا لايصل الى اقرب الناس لنا لاسباب ندركها فنقول حسبا الله ونعم الوكيل واللهم نحن صائمون.

فائز جواد
بغداد

بطلة العراق في العصر الحديث

وأنا أطالع مقال الأستاذة – زينب فخري – المنشور في جريدة الزمان يوم 30– 5– 2018 سافر ذهني الى عشرات الأفكار والحالات والمآسي التي مر بها بلدنا الجريح منذ أن بدأتُ أدرك معنى الحياة. فَجّر مقالها في روحي وكياني مشاعر لايمكن أن تمر عبر التاريخ دون أن أكتب عنها للأجيال القادمة وأبين صورة من الصور البطولية الكثيرة التي كان أبطالها أفراد أو جماعات لكن أقلام الكتاب غفلت عنها لسبب ما. من أجمل ماكتبته الكاتبة المذكور أسمها أعلاه هي عبارة " وبالتأكيدً لو انَّها انتجت هذه الأعمال فهي لن تكون لتحقيق المتعة للمشاهد وسدّ فراغ في الأفق الفضائي فقط بقدر قيامها بمهامها في أرشفة وتوثيق تلك البطولات قبل أن تمحوها الذاكرة ويلّفها النسيان" . من أروع الصور البطولية التي سمعتها وشاهدتها من خلال وسائل الأعلام المرئية صورة المرأة – المسّنة – أم قصي من مدينة العلم التابعة لتكريت في زمن العصر المظلم الذي مر به العراق وأقصد – سنوات داعش – وكيف أنقذت 58 من شبابنا ورجالنا من قاعدة سبايكر وكان لها الفضل الكبير بعد فضل الله سبحانه وتعالى في الحفاظ على أرواح أؤلئك الشباب الذين كانوا في عمر الزهور. من لم يسمع بحكاية أم قصي يجب عليه الآن أن يبحث عن حكايتها في النت ويشاهد جميع اللقاءات المحلية والعالمية التي أُجريت معها كي تبقى عالقة في ذاكرة الأجيال العراقية لحين قيام الساعة . العمل البطولي الذي قامت به – أم العراقيين – أم قصي يجب أن يخلده العراقيين بعمل كبير جبار وينبغي على الحكومة العراقية أن تسارع الى بناء صرح عملاق لها في كل المدن العراقية لكي تبقَ صورتها خالدة عبر التاريخ . العمل الذي قامت به أم قصي ليس عملاً نمطياً عابراً , هو عمل عظيم يساوي نفس عظمة اللحظات التي قام بها الجيش العراقي بكل صنوفه من أجل تحرير أرض العراق من أذناب داعش . الملفت للنظر أن كل القنوات العراقية راحت تصنع برامج تعتقد أنها ترفيهية في شهر رمضان لإضحاك الناس كما تعتقد من خلال برامج ليس لها قيمة على شاكلة – زرق ورق أو مقالب أو دقلات وغيرها من البرامج التي تجعلني شخصياً أقرف منها حد الموت ونسيت هذه القنوات بطولات الحشد الشعبي والجيش وكافة القوات التي ساهمت في تطهير الأرض ولم أشاهد عمل واحد يمجد تلك البطولات أو القاء الضوء على مأساة من مآسي عوائل الحشد الشعبي أو الجيش أو القوات الأمنية بعد أن أستشهد إباؤهم وظلت زوجاتهم وأبنائهم يعانون الآلم الدفين بذلك الفقدان الكبير.

كان من المفروض أن تبادر قناة أو أكثر لدراسة الحالة التي مرت بها أم قصي وهي تخاطر بحياتها وحياة بناتها وكل من هم قريبين منها من أجل أن تنقذ أؤلئك الشباب الذين عصفت بهم رياح الحرب والغدر والظلم فوجدوا أنفسهم في ضيافة أم قصي . ثلاثة أيام متتالية وأنا أتابع كل الأفلام واللقاءات التي تتحدث عن أم قصي وفي كل مرة أشاهدها أجهش بالبكاء وأتخيل نفسي أنا من وقع في ذلك الظرف المرعب وأتخيل كيف ستكون حياتي واللحظات العصيبة التي تمر على نفسية كل شاب من أؤلئك الشباب المساكين . ربما أنا أختلف عن الكثيرون ممن يشاهدون تلك اللقاءات لأنهم لم يجربوا لحظات الخوف المهلكة لا بل لحظات الموت المحقق كما جربتها أنا في ظرف آخر من ظروف الحرب في أيام التسعينات حينما وجدت نفسي محاصراً وعدد غفير من أبناء الجيش العراقي في كركوك حينما مزق الأكراد أجساد الجنود أمامي بلا رحمة. حينما تتحدث أم قصي مع الشباب الذين عادوا لزيارتها بعد عام أو أكثر للاطمئنان عليها وتقديم آيات الشكر والامتنان لها واستذكار اللحظات العصيبة التي مرت بهم جميعا وتفاصيل حياتهم اليومية حينما كانوا في ضيافتها. كنتُ أشعر أن قلبي يكاد يخرج من مكانه ودموعي تنهار بلا توقف كأنني كنت واحد منهم . تستحق أم قصي لقب أم العراقيين ولقب أشجع إمراة في التاريخ العراقي الحديث وينبغي أن تقوم مؤسسة السينما والمسرح بصنع فلم عملاق متقن عن تلك الحالات التي مرت بها وبضيوفها الشباب وأستطيع أن أكتب لها أعظم سيناريو في تاريخ السينما العراقية هدية لها. سافرت أم قصي الى أمريكا ليتم تكريمها كونها واحدة من أشجع 10 نساء لسنة عام 2018 وكانت شجاعة حقاً في أمريكا حينما دفعت كل نساء العالم لتقف الى جانب ميلانيا ترامب وراحت الجماهير تصفق لها.

قابلت رئيس الوزراء العراقي ووزير الدفاع وتم تكريمها وهي تستحق أعظم وسام عراقي في التاريخ الحديث . لا أقول أن أم قصي البطلة الوحيدة في تاريخ العراق فهناك بطولات لنساء لاتعد ولا تحصى ولكن بطولة أم قصي من نوع خاص .

أعترف وأنا صادق أنني لا أستطيع أن أفعل نفس الشيء الذي فعلته ليس معنى هذا أنني غير محب لوطني ولكن لكل إنسان قابلية محددة رسمتها له الطبيعة أو الحياة وكل فرد يختلف عن الفرد الآخر في مجال العمل الكبير الذي يستطيع القيام به. من خلال هذا المكان أتمنى من الحكومة العراقية أن تشيد لها تمثال كبير وتدرس حالتها البطولية في المدارس كرمز لشجاعة وبطولة الأنسان العراقي . الف تحية لأم قصي وستبقين عالقة في ذاكرتي وقلمي مادمت على قيد الحياة.

ثامر مراد
بغداد

تقاليد رمضانية

نساء يتحدين غلاء الأسعار بصناعة الأطباق الرمضانية المحببة

شوربة الفريك تتصدر الإفطار التونسي و الحلو مر يغيب عن المائدة السودانية

القاهرة - مصطفى عمارة

هناك اطباق لا تخلو منها المائدة الرمضانية وهذه الاطباق تختلف من بلد لاخر، فمثلا مائدة الافطار العراقية لا يمكن ان تخلو من شوربة العدس وحلوى الزلابية، الا ان الظروف الاقتصادية الصعبة وغلاء أسعار المواد الغذائية التي تحتاجها الأسر لإعداد أطباقها المفضلة في شهر رمضان قد يؤدي الى الاستغناء عنها.وفي هذا الاستطلاع تتحدث نساء من دول مختلفة عن ظروفهم الاقتصادية الصعبة، وكيفية عثورهن على حلول لإعداد أطباقهن الرمضانية.

اللقاء الاول كان مع مريم فيصل الصفتي التي تنقلت بين مصر وألمانيا طوال حياتها بسبب عمل والدها. وبفضل ذلك تعلمت إعداد أكلات من مطابخ متنوعة. ومن بين كل تلك الأطباق هناك طبق واحد لا يكتمل من دونه رمضان بالنسبة لها: (المقلوبة الشامية).وتذكر الصفتي انها كانت في الثالثة عشرة من عمرهاعندما طبخت أمها المقلوبة للمرة الأولى بعد أن تعلمت إعدادها من صديقة سورية في مدينة بون الألمانية.وحتى بعد وفاة والدتها، تحرص مريم وأخواتها على تحضير الطبق في كل رمضان.

وتحرص الصفتي على عدم المساس بوصفة أمها ذات المعزة الخاصة عندها والتي تتضمن البطاطا والباذنجان والأرز وقطع اللحم والمكسرات،

وتقول (إن تكلفة إعداد هذا الطبق قد تضاعفت مقارنة بأول مرة قامت بتحضيره فيها منذ نحو 15 عاما.طبعا سعر اللحم تضاعف على مدار السنوات).وتشير الى انها (أنها تشتري مخزون المكسرات أثناء زياراتها لألمانيا بسبب الارتفاع المبالغ فيه لأسعار المكسرات في مصر. ويبلغ سعر الكيلوغرام الواحد من اللوز في مصر 400 جنيه مصري (نحو 22 دولارا أمريكيا)، بينما يتعدى سعر الصنوبر 1800 جنيه مصري للكيلوغرام (106 دولارات)، اما كيلو اللحم البقري فيصل سعره إلى 140 جنيها (8.7 دولارات).

وبما أن مريم تسكن وحدها مع والدها، فهما يعدان معا الطعام على نحو شبه يومي.تحكي مريم عن بعض الحيل التي تلجأ لها لتعويض نقص بعض المكونات في السوق المصرية، فهي مثلا تستغني عن المكونات التي ارتفعت أسعارها كثيرا مثل بعض أنواع السمك. كما أنها استغنت تماما عن أي طبق يحتوي على نبات الهليون بسبب الارتفاع الجنوني في سعره.ولكنها تقول(إنها عندما تحضر المقلوبة، فإنها لا تقدم أي تنازلات، فالطبق يجب أن يقدم تماما مثلما كانت تحضره الأم للعائلة).

تكلفة المطاعم

وتفضل الفلسطينية رمز بشارات (24 عاما) أن تطبخ طعام الإفطار بنفسها وإلا فإنها ستضطر لأن تدفع ستة أضعاف التكلفة في معظم المطاعم في رام الله بالضفة الغربية.وتشعر رمز بأنها أفضل حالاً من معظم العائلات التي قد تتضرر أكثر بكثير منها بسبب الغلاء والمصاريف المرتفعة في رمضان فهي تسكن بعيداً عن عائلتها، فمثلا لا يكلف طبق فتة الباذنجان الذي تعده رمز أكثر من خمسة دولارات – وهو مبلغ لا يرهق راتبها الشهري كموظفة في إذاعة محلية، كما أنه يكفيها وصديقتها في بيتهما المستأجر. بينما لو ذهبت إلى مطعم يعتمد نظام البوفيه المفتوح فستضطر لدفع ما يتراوح بين 30 و35 دولاراً.كما أن تحضيره لا يأخذ كثيرا من وقت رمز التي تعد رسالة الماجستير.وعن طريقة اعداده تقول انها (تضع وعاءا يحوي قطع الطماطة والبصل والفلفل والباذنجان على النار، وتقلي قطع الخبز لتصبح مقرمشة ثم تسكب اللبن فوق طبقة الخضروات والخبز، وترتب قطع الدجاج فوقها).وتؤكد (لا أستطيع أن أدعو مجموعة كبيرة من الناس للإفطار لأنه يشكل عبئاً على الميزانية) .قد تختصر رمز بعض الكماليات مثل الصنوبر واللوز لارتفاع أسعارها، كما أنها لا تستطيع إعداد الحلويات الرمضانية كالقطايف كل يوم. توضح رمز أنها تجدول مصروفها بحذر حيث يكون لديها التزامات مادية أخرى خلال الشهر.

ورصدت رمز ارتفاعا طفيفا في أسعار اللحوم والدواجن، ولذا فهي تشتري من محلات تعتمد أسعاراً تنافسية، كسوق الخضار المركزي وسط المدينة والبقالات الكبيرة التي تقدم تخفيضات.

يقول مسؤول دائرة حماية المستهلك في وزارة الاقتصاد إبراهيم القاضي، لبي بي سي(إن رمضان لم يشهد ارتفاعاً للأسعار هذا العام بسبب المنافسة الشديدة بين التجار وضعف القدرة الشرائية، حيث ساهم هذان العاملان في استقرار الأسعار المرتفعة أصلاً بالنسبة لمعدل الرواتب الشهرية للفلسطينيين).

وكان الفلسطينيون قد نظموا في رمضان عام 2016 حملة نظمها لمقاطعة اللحوم احتجاجاً على غلاء أسعارها، حيث وصل سعر الكيلوغرام الواحد من لحم الخاروف إلى نحو 30 دولارا.الا ان رمز لا تذكرها لانها لم تكن تسكن انذاك في رام الله .

وقد تكون هذه الحملة واحداً من أسباب اعتدال الأسعار منذ ذلك الحين في رمضان، خاصة وأن الحكومة لا تتدخل في تحديد الأسعار بشكل مباشر معتمدةً اقتصاد السوق. هذا العام نشر بعض مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي دعوات مشابهة لإطلاق حملات مقاطعة للمطاعم احتجاجاً على أسعارها المرتفعة خاصة في رام الله.

بضاعة جديدة

اما السودانية أمال التوم، التي تجاوزت 60 عاما، فتعمل في تجارة الخضروات في إحدى الأسواق الصغيرة في أقصى غرب العاصمة السودانية الخرطوم. لكنها ومع بداية رمضان، لجأت إلى تغيير أصناف بضاعتها.اذ جلست في السوق على كرسي بلاستيكي وأمامها أصناف من التوابل والبهارات معباة في أكياس صغيرة وذات مقاسات مختلفة.

تقول لبي بي سي (إن هذه الأصناف تجد إقبالا كبيرا في رمضان على عكس الفاكهة والخضر)مضيفة (قمت بتعبئتها في أكياس صغيرة لأبيعها بأسعار معقولة لأن معظم الزبائن هنا من ذوي الدخل المحدود وليس بإمكانهم شراء احتياجات رمضان دفعة واحدة كما تفعل العائلات الثرية).وتضيف أمال التي تعول أسرة مكونة من خمسة أشخاص (ما أبيعه في اليوم غير كاف ولكنه يساعدني في شراء بعض المستلزمات الأخرى لأسرتي، خاصة وأن الأسعار قد ارتفعت بصورة جنونية هذا العام).

وشهد السودان ارتفاعا كبيرا وغير مسبوق في أسعار السلع الاستهلاكية في رمضان هذا العام، ووصلت الزيادة في أسعار بعض المواد (مثل السكر والزيوت واللحوم) إلى 200 في المئة عما كان عليه العام الماضي.

واضطرت العديد من العائلات السودانية إلى تغيير سلوكها الغذائي في رمضان هذا العام بسبب الغلاء. ومن بينهم أمال التي تؤكد أنها (لم تصنع مشروب الحلو مر هذا العام بسبب التكاليف العالية).

ويعتبر الحلو مر من أشهر المشروبات وأقدمها في مائدة رمضان في السودان ويصنع من خليط من الذرة المخمرة والأعشاب والبهارات والسكر.

وتقول بأسى (لم أصنع الحلو مر هذا العام ولكنني استعضت عنه بمشروبات أخرى مثل عصير الكركدي والعرديب).ع ند منتصف النهار تعود أمال إلى منزلها الذي يبعد كيلومترات قليلة عن السوق لتنال قسطا من الراحة قبل أن تبدأ تحضير طعام الإفطار لأسرتها.بدأت أمال في تقطيع بعض الخضروات في مطبخها الصغير لإعداد وجبة شعبية.

لكنها تقول (إنها عادة ما تتناول الإفطار مع جيرانها إن عرفنا أن إحدى الجارات ليس لديها ما تطبخه، نذهب إلى منزلها ونتناول الإفطار معها دون أن نشعرها بالحرج).اما التونسية فضيلة السوسي وهي ربة بيت خمسينية يعمل زوجها حلاقا فهي تواجه شهر رمضان صعبا مثل آلاف العائلات التونسية الأخرى بالقول (نواجه مصاعب جمّة منذ سنوات، الا ان هناك طرقا ممكنة لتجاوز غلاء المعيشة)، وذلك في إشارة إلى ما يصفه التونسيون بالحذاقة، أي القدرة على التعامل مع كلّ الوضعيات والحالات المستعصية.وتعد السوسي العدة لطهي شوربة الفريك، الوجبة الأشهر في تونس في شهر رمضان.ويتكون من شعير محمص ذو حبات صغيرة، وعنه تقول فضيلة(سعره لم يرتفع كثيرا في السنوات الأخيرة. أنا أعده في البيت أصلا، كلّ صيف) .

خزن اغذية

وفي تونس، لا تزال آلاف العائلات تعدّ العولة، وهي تخزين أغذية من أصل نباتي كالكسكسي والبهارات أو تحويلها إلى مواد شبه جاهزة للاستهلاك كالفلفل والطماطم.وتقول فضيلة إنها تحتاج، إلى جانب الشعير، إلى زيت الزيتون الذي قفز سعره خلال السنوات الأخيرة ليبلغ في بعض الأحيان أكثر من 12 دينارا (نحو 5.4 دولار أمريكي) للتر الواحد، يضاف إليهم الثوم الذي تجاوز سعره 6 دنانير للكيلوغرام الواحد والفلفل والطماطم والبقدونس.وتقول فضيلة (إنه من الممكن إضافة اللحم أو السمك أو الدجاج للشوربة). لكنها تستدرك (بأن كثيرا من العائلات التونسية لم تعد قادرة على دفع ثمن اللحوم والأسماك بأنواعها).

وترى فضيلة (أن الحكمة تكمن في كيفية التصرف في ميزانية العائلة وتجنب الاكتواء بالأسعار)، معترفة بأن (شهر رمضان قد تحول إلى شهر للأكل والشرب والإقبال على كلّ ما لا يمكن اقتناؤه في بقية شهور السنة).

شوربة سورية

امرأة تحضر عصيراً في رمضان